التفسـير الموضـوعي تعريفه ونشأته

إعـداد

د. محمود وجيه محمود

الملخص:

يدور هذا البحث حول تعريف التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وكذلك نشأته، وخلص إلى ان التفسير الموضوعي –وهو مصطلح حديث – أطلقه العلماء المعاصرون على: جمع الآيات القرآنية، التى تشترك في موضوع واحد وتحمل هدفا واحدا، –مهما تنوعت ألفاظها، وتعددت مواطنها – وترتيبها حسب النزول . ما أمكن ذلك . مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناولها بالشرح والبيان، والتعليق والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهج الموضوعي، الذي يجليها من جميع نواحيها وجهاتها، بشكل يعين على إظهار هداياتها وتلمس أهدافها ومقاصدها.

كما خلص إلى أن نشأته تعود إلى زمن النبوة حسث كان تفسير القرآن بالقرآن هو البذرة الأولى له.

Abstract:

This research elucidates the definition of the objective illustration of the Holy Qura'an in addition to its origins. It concludes that the objective illustration, which is a modern terminology, is named by the contemporary scientists. The contemporary scientists used this term on the Qura'anic verses, which have common object and purpose; even if they have different words, origins, and chronological dates, if it's possible to figure out the reasons for these verses. Moreover, these verses are examined for further comments and elicitation in addition to presenting them in a way that makes their aims clear. Furthermore, it concludes that it's origins date back to the time of the prophets when the illustration of Qura'an is done by Qura'an itself.

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد:

فإن الاشتغال بكتاب الله تعالى تعلماً وعلماً وعملاً وتعليماً وتدبراً وتفهماً من أفضل ما صرفت فيه الهمم والأوقات ومن خير ما بذلت فيه الجهود والأموال وأعملت فيه الأفكار والأذهان ذلك أن القرآن المجيد هو مصدر خيرية هذه الأمة ومنبع عزها وفخرها وهو مبعث هداها وصلاحها واستقامتها، ولن تزال الأمة بخير ما ارتبطت بالقرآن الكريم وربت أبناءها على تعظيمه وحفظه وتعاهده والعمل به،

ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدرار كنـوزه، والنهل من معينه العذب النمير، ولأجل انكبابهم على دراسته، تنوعت طرائقهم في عرض علومه ومعارفه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته، وكان القدح المعلى لعلم التفسير من ذلك كله، ولهم في تناول هذا العلم والكتابة فيه أربعة أساليب:

أولا التفسير التحليلي

ثانيا: التفسير الإجمالي

ثالثاً: التفسير المقارن

رابعاً: التفسير الموضوعي وهو ما يقتصر الحديث عنه لبيان معناه ونشاته، ممهدين لذلك بالحديث عن الأساليب التفسيرية سالفة الذكر

المبحث الأول: أساليب التفسير

أولا: التفسير التحليلي:

وهو الغالب على التفاسير، وهو أن يعمد المفسر إلى تحليل الآية ببيان سبب نزولها، وبيان غريبها، وإعراب مشكلها، وبيان مجملها، وتوضبح غامضها،وما إلى ذلك مما يتعلق بتفسيرها

وهذا اللون من التفسير هو أسبق أنواع التفسير وعليه تعتمد بقيتها، ويتفاوت فيه المفسرون إطناباً وإيجازاً، ويتباينون فيه من حيث المنهج، فمنهم من يهتم بالفقهيات، ومنهم من

يهتم بالبلاغيات، ومنهم من يطنب في القصص وأخبار التاريخ، ومنهم من يستطرد في سرد أقوال السلف، ومنهم من يعتني بالآيات الكونية أو الصور الفنية أو المقاطع الوعظية أو بيان الأدلة العقدية. وبذلك يكون هذا اللون من التفسير هو الغالب على تواليف العلماء وأكثر كتب التفسير على هذا النمط.

ومن أمثلته: تفسير ابن عطية، والآلوسي، والشوكاني، وغيرهم.

ثانيا: التفسير الإجمالي:

وهو أن يعمد المفسر إلى بيان المعنى العام للآية دون التعرض للتفاصيل ؛ كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها.

حيث يقوم المفسر ببيان الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها إجمالاً مع بيان غريب الألفاظ والربط بين المعاني في الآيات متوخياً في عرضها وضعها في إطار من العبارات التي يصوغها من لفظه ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها، وقد يضيف ما تدعو الضرورة إليه من سبب نزول أو قصة أو حديث ونحو ذلك.

ومن أمثلته: تفسير السعدي، وتفسير الناصري، ويوجد كذلك في تفسير المراغي وتفسير الجزائري تحت عنوان "المعنى الإجمالي".

ثالثاً: التفسير المقارن:

وهو بيان الآيات القرآنية باستعراض ما كتبه المفسرون في الآية أو مجموعة الآيات المترابطة، والموازنة بين آرائهم، مع ترجيح ما يراه راجحا.

ومن أمثلته: تفسير الطبري، وغيره ممن يذكر أقوال المفسرين ويرجح بعضها على بعض.

المبحث الثاني: تعريف التفسير الموضوعي

يتألف مصطلح (التفسير الموضوعي) من جزأين ركبا تركيباً وصفياً فنعرف الجزأين ابتداء ثم نعرف المصطلح المركب منهما.

معنى التفسير لغة:

التفسير مشتق من الفسر، ويطلق التفسير في اللغة على الكشف والبيان والإيضاح والتفصيل ومن ذلك قوله تعالى: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} الفرقان ٣٣.

كما يطلق ويراد به التأويل ومنه قوله تعالى: {نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِه} يوسف ٣٦. يقول ابن كثير في معنى قوله تعالى: {وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً}.

أي ولا يقولون قولا يعارضون به الحق، إلا جئناك بما هو الحق في نفس الأمر،وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم.

قال ابن فارس: "فسر" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك فسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته[١].

وجاء في القاموس: الفسر: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير، قال الراغب: هو إظهار المعنى المعقول [٢].

. معنى التفسير في الاصطلاح:

تنوعت عبارة المفسرين وكثرت أقوالهم في بيان حدّ التفسير وتعريفه، نذكر من هذه الأقوال:

– عرفه صاحب البحر المحيط أبو حيان الأندلسي بقوله:"علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن و مدلولاتها و أحكامها الإفرادية و التركيبية و معانيها التي تحمل عليها حال التركيب و تتمات ذلك"[٣].

– و عرفه الإمام الزركشي بقوله: "علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم و بيان معانيه و استخراج أحكامه و حكمه و استمداد ذلك من علم اللغة و النحو

[١] **مقاييس اللغة مادة فسر**

[٢] **القاموس المحيط مادة فسر**

[٣] **البحر المحيط ١ / ٥٦**

و التصريف و البيان و أصول الفقه و القراءات، و يحتاج إلى معرفة أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ".[١]

– و عرفه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني بقوله:"علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية".[٢]

ويجمع بين هذه الأقوال وغيرها بأن التفسير علم يراد به الوقوف على معانى كلام الله واستخراج أحكامه وحكمه

والموضوع لغةً:

من الوضع ؛ وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء أكان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، تقول العرب: ناقة واضعة: إذا رعت الحَمْضَ حَوْلَ الماءِ ولم تَبْرَحْ وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي، لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي أراده.

أما تعريف (التفسير الموضوعي) علماً على فن معين، فقد عرِّف عدة تعريفات نختار منها ما يلى:

– عرفه الدكتور مصطفى مسلم التفسير الموضوعي بأنه علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر. [٣]

وعرف كذلك الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد بأنه علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة بمعنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنّظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع" [٤]

[١] **البرهان في علوم القرآن ١–٨٩**
[٢] **مناهل العرفان في علوم القرآن ١-٧٤**
[٣] **مباحث في التفسير الموضوعي ٣٨**
[٤] **المدخل إلى التفسير الموضوعي ٤٤**

كما عرفه الشيخ محمد الغزالي بأنه تتبع المعنى الواحد في طول القرآن وعرضه، وحشده في سياق قريب ومعالجة كثير من القضايا على هذا الأساس .

وعرفه الدكتور محمد القاسم: بأنه علم يتناول القضايا القرآنية، من خلال جمع الآيات المتفرقة لفظاً أو حكماً، ذات العلاقة بموضوع واحد وتفسيرها بحسب المقاصد القرآنية

ويرى الدكتور محمد البهي أن التفسير الموضوعي إنما هو استخلاص مضمون الكتاب ككل من نظرة موضوعية شاملة مرة، أو استخلاص موضوع محدد كمنهج القرآن في تطوير المجتمع، أو موقف القرآن من المادية مرة أخرى، أو استخلاص هدف السورة الواحدة وما عنيت بإبرازه في إطار الدعوة كلها مرة ثالثة .

ومما سبق يمكننا أن نخلص إلى ان التفسير الموضوعي –وهو مصطلح حديث – أطلقه العلماء المعاصرون على:

جمع الآيات القرآنية، التى تشترك في موضوع واحد وتحمل هدفا واحدا، –مهما تنوعت ألفاظها، وتعددت مواطنها – وترتيبها حسب النزول . ما أمكن ذلك . مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناولها بالشرح والبيان، والتعليق والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهج الموضوعي، الذي يجليها من جميع نواحيها وجهاتها، بشكل يعين على إظهار هداياتها وتلمس أهدافها ومقاصدها.

ومن ثم فإن التفسير الموضوعى " لا يُعد تفسيراً عاماً بالمعنى الاصطلاحي المألوف لدى جمهرة المفسرين؛ ذلك أنه لا يتناول كل آيات القرآن على صورة الترتيب المُصْحفي، وإنما هو جمع للآيات الواردة في موضوع واحد، ثم تصنيفها بطريقة منهجية تعين على تنسم هداياتها، وتلمس مقاصدها، واستخراج مكنوناتها" .

فالتفسير الموضوعي إذن هو التناول لجانب واحد من جوانب القرآن الكريم بالبحث والدراسة بالنظر إلى الأبواب، كدراسة: الإيمان والكفر والنفاق في القرآن، الأخلاق في القرآن، الربا في القرآن، وغيرها من الموضوعات.

المبحث الثالث: نشأة التفسير الموضوعي [1]

لم يظهر مصطلح التفسير الموضوعى كعَلَمَ على علم معين إلا في القرن الرابع عشر الهجري، إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير كانت موجودة منذ عهد النبوة وما بعده، ويمكننا إجمال مظاهر وجود هذا التفسير في الأمور التالية:

١- تفسير القرآن بالقرآن

لا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن هو لب التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته. وجميع الآيات التي تناولت قضية واحدة والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز ألوان التفسير التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يربي أصحابه عليها، فقد روى البخاري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ((وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ))[الأنعام ٥٩]، فقال: مفاتح الغيب خمسة: ((إنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً ومَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) [لقمان ٣٤].

ومثاله أيضا ما ورد عن النبي من تفسيره للظلم في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾بالشرك الوارد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.﴾

ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة -رضوان الله عليهم- من الجمع بين الآيات القرآنية التي يُظنُّ بينها تعارضٌ. وقد وضع العلماء بعده قاعدة في أصول التفسير تقتضي بأن أول ما يرجع إليه المفسر القرآن الكريم، إذ ما أجمل في مكان قد فصل في آخر، وما أطلق في آية إلا قد قيد في أخرى، وما ورد عاماً في سورة، جاء ما يخصصه في سورة أخرى، وهذا اللون من التفسير هو أعلى مراتب التفسير وأصدقها إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله.

٢- تفاسير آيات الأحكام

[1] **يراجع المدخل إلى التفسير الموضوعي ٦٧ وما بعدها ومباحث في التفسير الموضوعية ٥٨ وما بعدها**

قام بعض الفقهاء بجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، والجمع بين ما يظهر التعارض، وذكروا ما نص عليه ومـا استنبط من القرآن بطريق الإشارة والدلالة الخفية، ونحو ذلك، وكله داخل تحت مسمى التفسير الموضوعي.

٣- الأشبـاه والنظائر

وهو اتجاه نحاه بعض العلماء في تتبع اللفظة القرآنية، ومحاولة معرفة دلالاتهـا المختلفة، مثال ذلك: كلمة (خير) وردت في القرآن على ثمانية أوجه حسبما ذكره الدامغاني في كتابه (إصلاح الوجوه والنظائر)، وهي:

المال: كقوله ((إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً))[البقرة ١٨٠]،

والإيمان كقوله: ((ولَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ))[الأنفال ٢٣]،

والإسلام كقوله: ((مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ))[القلم ٢]،

وبمعنى أفضل كقوله: ((وأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ))[المؤمنون ١٠٩]،

والعافية كقوله: ((وإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُـوَ وإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[الأنعام ١٧]،

والأجر كقوله: ((لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ))[الحج ٣٦]،

والطعام كقوله: ((فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ))[القصص ٢٤]،، وبمعنى الظفر والغنيمة والطعن في القتال كقوله: ((ورَدَّ اللَّهُ الَذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً))[الأحزاب ٢٥]

وهذا – كما ترى – لون من التفسير الموضوعي، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن موضـوعات القرآن حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده.

٤- الدراسات في علوم القرآن

اهتم العلماء بموضوعات علوم القرآن فأشبعوها، ومن بين هذه الموضوعات والدراسات، لون ينصبُّ على دراسة وجمع الآيات التي لها رابطة واحدة، كآيات النسخ والقسم والمشكل

والجـدل والأمثال وغير ذلك، ومؤلفاتهم في ذلك يعز على الباحث حصرها وهي أشهر من أن تذكر.

كل هذه الأمور والحقائق تدلنا على أن التفسير الموضوعي ليس بدعاً من العلوم أفرزته عقول المتأخرين، وغفلت عن الاهتمام به أفهام الأولين. لكن بروزه لوناً من التفسير له كيانه وطريقته لم يوجد إلا في العُصُر الأخيرة – تلبية لحاجات أهلها – التى وجد فيها من المذاهب والأفكار كما وجد فيها من الآراء والموضوعات ما اضطر علماء الشريعة إلى بحثها من وجهة النظر القرآنية ليقينهم بأنه الكتاب الـذي يحوي دراسة وعلاج كل موضوع يطرأ في حياة الناس، علمه من علمه، وجهله من جهله، ((أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ))[الملك ١٤] .

خاتمة:

قد تبين لنا من هذه الرحلة القصيرة أن التفسير الموضوعي جمع للآيات القرآنية، التى تشترك في موضوع واحد وتحمل هدفا واحدا، –مهما تنوعت ألفاظها، وتعددت مواطنها – وترتيبها حسب النزول . ما أمكن ذلك . مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناولها بالشرح والبيان، والتعليق والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهج الموضوعي، الذي يجليها من جميع نواحيها وجهاتها، بشكل يعين على إظهار هداياتها وتلمس أهدافها ومقاصدها.

كما تبين أن نشأته تعود إلى زمن النبوة حسث كان تفسير القرآن بالقرآن هو البذرة الأولى له.

أهم المراجع

- البرهان في علوم القرآن للزركشي دار الفكر
- المدخل للتفسير الموضوعي د عبد الستار فتح الله سعيد دار الطباعة والنشر الإسلامية
- مباحث في التفسير الموضوعي د مصطفى مسلم دار القلم
- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني دار المعرفة
- البحر المحيط لأبي حيان دار إحياء التراث العربي
- الجامع الصحيح "صحيح البخاري" – البخاري المكتبة الإسلامية – إستانبول